الباب الثانى

آثار الخطاب العلمية وديوانه

الفصل الأول

آثاره العلمية والأدبية

نشاطه العلمي :

تتلمذ السلطان الخطاب على يد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي كما ذكرنا ، وكانت الصلات بينهما وثيقة جداً . ظلّ السلطان الخطاب مسانداً مؤازراً لأستاذه في إدارة شئون الدعوة وأمورها منذ تعيين الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي كخلف للداعي يحيى بن لمك الحمادي في رياسة الدعوة[1] . وبعد سنة أربع وعشرين وخمسمائة لما استقلت الدعوة اليمنية باسم الدعوة الطيبية حمل الأستاذ وتلميذه وفي اصطلاح الدعوة المفيد ومستفيده . العبء الثقيل في إعلاء كلمة هذه الدعوة وفي محاربة الدعوة الحافظية[2].

تلقى السلطان الخطاب علوم الدعوة الفاطمية بجميع فروعها مثل التاريخ والفقه والتأويل وعلم الحقائق من مفيده الداعي الذؤيب واستوعب كلّ ما عنده . وكان الداعي الذؤيب يتلقى علوم الدعوة ومعارفها من الداعي يحيى بن لمك الحمادي[3]. والداعي يحيى بن لمك كان من نخبة تلامذة أبيه الذين اختارهم لتسليم علوم الدعوة التي تلقاها من داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي أيام إقامته الطويلة معه في القاهرة[4] . لهذا السبب تأثر السلطان الخطاب بالداعي المؤيد أكثر من أيّ الدعاة الآخرين . ونجد في مؤلفاته مقتطفات كثيرة من كتب المؤيد الشيرازي ولا سيما من « المجالس المؤيدية » .

---

(١) تحفة القلوب ص ١٢٦ .

(٢) عيون الأخبار ج ٧ ص ٢٢٦ ، ٢٣٠ ؛ نزهة الأفكار ج ١ ص ٧٣ .

(٣) تحفة القلوب ص ١٢٦ .

(٤) المرجع السابق ص ١٢٥ .

يبدأ نشاط السلطان الخطاب العلمى والأدبى فى التأليف والتدريس فى الفترة الأخيرة من حياته أى بعد سنة أربع وعشرين وخمسمائة . ولم يتح له بسبب انشغاله بالسياسة والحروب المتوالية من الوقت ما ينصرف فيه إلى التأليف إلا فى هذه الفترة الأخيرة من حياته التى كانت هادئة نسبيًّا عن الفترات التى سبقت . وبرغم ذلك قد خلّف لنا من الآثار العلمية ما يشهد له بالنضج العقلى والعمق الفكرى . يقول صاحب « عيون الأخبار »[١] نقلا عن جامع ديوانى الخطاب وسليمان : « إن الخطاب أجيز له فى أربعمائة كتاب قرأها ، ولأخيه سليمان فى ستّمائة كتاب » . وإن دلت هذه الرواية على شىء فإنها تدلّ على أنه كان عالماً ويبدو من مؤلفاته أنه كان متضلعاً متبحراً فى علوم الدعوة الفاطمية ومعارفها . يقول مؤرخ الدعوة الفاطمية فى هذا السياق : « وكانت له منزلة جليلة وفضل وعلم وعدل وورع وزهد وعقل . وهو ثانى الداعى الذؤيب بن موسى فى الدعوة ، وهما لدعاة اليمن فى الدعوة الطيّبية القدوة وهما فى العلم منارة »[٢] .

ثم نلاحظ من خلال مؤلفاته أن علم الحقائق هو أظهر الفروع من علوم الدعوة الفاطمية التى درسها الخطاب وحذقها ، وكان له اليد الطولى فيها . ويظهر لنا من مؤلفاته أنه تأثر فى علم الحقائق برسائل « إخوان الصفاء » خاصة ، ثم « براحة العقل » للداعى حميد الدين الكرمانى ، وفى علم التأويل تأثر الخطاب بالداعى المؤيد فى الدين الشيرازى ، ونقل كثيراً فى «المجالس المؤيدية » ثم « بأسرار النطقاء » و « سرائر النطقاء » للداعى جعفر بن منصور اليمن .

وكان الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى من أبرز تلامذة السلطان الخطاب . وهو الذى قام مقام أستاذه لما توفى السلطان الخطاب ، كمأذون للداعى الذؤيب ابن موسى الوادعى فى الدعوة[٣]. ثم جعل الداعى الذؤيب إبراهيم بن الحسين الحامدى خليفته يتولى رياسة الدعوة بعده .

---

(١) عيون الأخبار ج ٧ ص ٢٢٤ .

(٢) عيون الأخبار ج ٧ ص ٢٢٢ .

(٣) تحفة القلوب ص ١٢٧ .

تصادف فترة التأليف للسلطان الخطاب هذه دور الستر الثانى الذى بدأ باختفاء الإمام أبى القاسم الطيب بن الإمام الآمر عن مسرح الخلافة فى القاهرة . فالخطاب الذى شاهد دور الظهور ذاك وأدرك دور الستر هذا كان من الدعاة الأولين الذين ألفوا فى دور الستر الثانى . وهو أول هؤلاء الدعاة السابقين الذين تركوا آثاراً علمية أثرت فى مؤلفات الدعاة اللاحقين .

امتازت مؤلفات دور الستر الأول حتى أيام ظهور المهدى بمحاولة التوفيق بين الفلسفة والدين . وقد غلب عليها الطابع العقلى . وبلغت محاولة التوفيق هذه ذروتها عند الداعى حميد الدين الكرمانى فى كتابه « راحة العقل » الذى أضاف نظرية العقول العشرة فى الدعوة الفاطمية[١] ، وتابع المقابلة الدقيقة بين عالم الإبداع والعالم الجرمانى وبين العالم الجسمانى وعالم الدين لأن العوالم كلها مرتبة بالميزان[٢] . أما مؤلفو دور الستر الثانى فإنهم لم يضيفوا إلى النظام الفكرى للدعوة شيئاً جديداً ، بل حاولوا التوفيق بين الآراء المختلفة للدعاة السابقين . وتمتاز مؤلفات هذا العصر بالطابع الفلسفى التصورى ، وكثرت الرسائل الصغيرة فى المبدأ والمعاد والابتداء والانتهاء .

كتاب السلطان الخطاب « منيرة البصائر » الذى هو أول ثمرة لهذا الدور يمثل هذا الاتجاه أحسن تمثيل . ومحتويات رسالته فى النفس تدور حول إبداعها وسقوطها من العالم العلوى إلى العالم السفلى ، ثم كيفية صعودها إلى ذلك العالم الروحانى مرة أخرى . فهذه الرسالة لا تختلف كثيراً عن رسالة المبدأ والمعاد أو الابتداء والانتهاء .

ثم نجد فى هذه الفترة أن هيئة الدعوة الإدارية قد أصبحت أكثر التزاماً وتزمتاً حيث يُطلب من أتباعها الاستسلام المطلق لأوامر الحدود العالية . يمكننا أن نفسر هذه الظاهرة عندما نلقى النظر على الظروف التى عاشت فيها الدعوة الطيّبية . فكانت الظروف التى عاشت فيها الدعوة قاسية جداً . قد فقدت الدعوة التأييد

---

(١) الصليحيون ص ٢٦١ .

(٢) اطلب راحة العقل ، السور الرابع .

السياسى بعد سقوط الدولة الصليحية وكانت احاطة بالعدوّ من كلّ جانب . وعاش أهل هذه الدعوة فى كفاح مرير بين الحياة والموت . فهذه الظروف الراهنة قد أدّت إلى التماسك الشديد فيما بينهم . وكان شاعرنا السلطان الخطاب كما يبدو لنا من راسمى هذه الخطوات لسياسة الدعوة . يتجه الخطاب فى الباب الأول من كتابه « منيرة البصائر » إلى هذا الاتجاه الذى سنتحدث عنه فيما بعد . وهذه الأبيات التالية من قصيدته الرائعة حيث يتحدّث عن الحدود فى الدين تشير أيضاً إلى هذا الاتجاه يقول :

فلا تستهينوا بالحدود وعظموا ... مقامات تلك الصفوة العظماء
تَلَقَّوْا بحُسْن السمع والطَّوع أَمْرَهم ... بما جاءكم ، لو جاءكم بفَناء
ولا تسألوا لِمْ ذاك وارْضَوْا وسلِّموا ... بغير اعتراضٍ منكمُ ومِراء[1]

ويقول مشيراً إلى الأئمة الأطهار :

وأقْصوا مُناوِيهم ولو كان والدًا ... أو ابنًا وخُصُّوه بكلّ جَفاء[2]

مؤلفاته

ألفّ السلطان الخطاب ثلاثة كتب وثلاث رسائل وهى :

١ ــ منيرة البصائر

٢ ــ رسالة النفس

٣ ــ غاية الأجسام

٤ ــ غاية المواليد

٥ ــ رسالة فى بيان إعجاز القرآن وأن الأعمال الشرعية نعمة بالحقيقة لا تكاليف مستثقلة ومشاق مستحملة .

٦ــ رسالة النعيم .

---

(١) القسم الأول ٦/٧١ – ٧٣ .

(٢) القسم الأول ٦/٥٨ .

وكانت رسالة النعيم من آخر مؤلفات السلطان الخطاب . ولكنه لم يستطع إتمامها وعندما بلغ نصف التصنيف قُتل[١]. ومن هذه المؤلفات كما عُلم ضاع كتاب « غاية الأجسام » ولم يصل إلينا . أما بقية الكتب فتوجد النسخ الخطية منها فى خزائن الكتب لأهل الدعوة فى الهند . وقد ذكر صاحب الفهرست لكتب الدعوة أربعة منها وهى :

١ — منيرة البصائر[٢]

٢ — رسالة النفس[٣]

٣ — رسالة النعيم[٤]

٤ — رسالة فى بيان إعجاز القرآن[٥]

أضاف الأستاذ إيفانوف فى « دليل الأدب الإسماعيلى »[٦] الكتاب الخامس إلى هذه القائمة التى ذكرها صاحب الفهرست وهو كتاب « غاية المواليد » . ولكنه شك فى نسبته إلى السلطان الخطاب فى كتابه[٧] "Rise of the Fatimids" وبين سببين لذلك أولهما : أنه لا توجد إشارة إلى اسم المؤلف فى الكتاب نفسه . وثانياً : أنه لم يذكره صاحب الفهرست الذى كان عليماً بالأدب الإسماعيلى . ثم فضّل نسبته إلى الداعى إدريس بن عماد الدين لأنه يبدو للأستاذ إيفانوف أن الكتاب من مؤلفات العصر المتأخر جداً . ونحن نرى أن السببين لا يجوز الأخذ بهما لأنهما لا يثبتان إنكار النسبة إلى الخطاب .

إذا قصد الأستاذ إيفانوف بالدليل الأول أنه لا يوجد اسم المؤلف على صفحة العنوان فى النسخة التى رجع إليها الأستاذ ، فعندنا نسخة يوجد فيها اسم المؤلف

---

(١) الفهرست ص ٢٨١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٣ — ٢٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧٤ — ٢٧٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٨١ .

(٥) المرجع نفسه ص ١٨٥ .

(٦) Guide p. 51

(٧) Rise of the Fatimids pp. 20 - 23.

على صفحة العنوان . وإذا قصد به ذكر المؤلف اسمه فى المقدمة بعد البسملة مرّة أخرى فليس هو من العادة المعروفة عند أكثر المؤلفين. وقد طالعت ثلاثة كتب للخطاب غير « غاية المواليد » (وهى « منيرة البصائر » و « رسالة النفس » و « رسالة فى إعجاز القرآن ») ولم أجد فى صلب هذه الكتب أية إشارة إلى مؤلفها فهل معنى قول الأستاذ المذكور أن نشكّ فى نسبتها جميعاً ؟ ثم دليله أن صاحب الفهرست لم يذكره لا يثبت بأىّ حال من الأحوال أنه ليس للخطاب ، فلم يشر صاحب « الفهرست » هذا إلى كتاب الكرمانى المعروف «راحة العقل » . وبرغم ذلك أثبته الأستاذ المذكور فى « دليل الأدب الإسماعيلى على أنه للكرمانى . فما معنى ذلك ؟ يقول صاحب « الفهرست » بعد انتهاء ذكر الكتب فى السير والتواريخ : « ثم يتلو كتب الظاهر كتب ورسائل فى علم التأويل الباطن الذى هو من أقسام العبادة العلمية كما هو من أقسام العبادة العملية . وهى أيضاً تشتمل على أنواع كثيرة مما تنقسم إليه . ونحن نذكر منها ما أطلعنا الله عليه كما وعدنا فى أول الرسالة أو ما وجدنا فهرسته فيما قرأنا فيه من كتب الظاهر والباطن . والباقى منها ما لا سبيل إليه، إلا أن يطلعنا الله عليه فيما بقى من عمرنا »[1] . فإنه لم يورد اسم « غاية المواليد » لأنه لم يطلع عليه . وليس معناه أنه كان يشكّ فى صحة نسبته إلى الخطاب كما يدّعى الأستاذ إيفانوف .

ثم محتويات الكتاب كما سنعرضها فيما يأتى ، ولا سيما مسألة إثبات الإمامة للإمام الطيب أبى القاسم الآمر ، ومسألة إثبات الحجج والردّ على من يعارض السيدة الملكة الحرّة أروى بنت أحمد الصليحية رتبة الحجة فى الدعوة ، تدلّ هذه المسائل المدروسة فى الكتاب على أنه من مؤلفات النصف الأول من القرن السادس حينما كانت هذه المسائل تناقش وتبحث بعنف لأنها كانت تتعلق بتلك الفترة من الزمن . وليس الكتاب من مؤلفات القرن التاسع كما يدّعى الأستاذ المذكور . كذلك نلاحظ المشابهة التامة بين ما قال الخطاب فى الباب الأول من هذا الكتاب وبين قصيدته فى رثاء السيدة الملكة الحرّة حيث ينتقل فى النصف الآخر من

---

(١) الفهرست ص ١٦٨ .

القصيدة من ضمير المؤنث إلى المذكر ومن المخاطب إلى الغائب[١] : فكل هذه الأشياء تدل على أنه من مؤلفات السلطان الخطاب .

والآن نستعرض محتويات هذه الكتب استعراضاً سريعاً موجزاً .

منيرة البصائر[٢]

ألّف السلطان الخطاب هذا الكتاب بعد سنة أربع وعشرين وخمسمائة لأنه ذكر اسم إمام عصره وهو الإمام أبو القاسم الطيب بن الإمام الآمر بأحكام الله بعد البسملة والحمدلة فى مقدمة الكتاب[٣] . وقد صنّف الخطاب هذا الكتاب قبل « رسالة النفس » وأشار فيه إلى أنه سيؤلف رسالة تعرف باسم « رسالة النفس»[٤] وهذه هى الأبواب العشرة التى يشتمل عليها الكتاب .

الباب الأول : فى التوحيد :

ينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول . الفصل الأول فى القول على الكثائف ، والفصل الثانى فى القول على اللطائف ، والفصل الثالث فى القول على التوحيد بحقيقته .

يستهل الكلام بالكثائف لأن المعقولات لا يوصل إليها إلا بواسطة المحسوسات . وبعد تعريف الكثافة يقول إنه ليس الفرق بين عالم اللطافة وعالم الكثافة من حيث المبدأ ، بل كان شيئاً واحداً من الإبداع ، والتخلف عن إقرار الدعوة هو السبب للتكثف . وبعد وصف رتب الكثافة ورتب اللطافة المختلفة ، وكيفية الترقى فيها يقول فى الفصل الأخير إن حقيقة التوحيد هى إقرار رتبة الواحدية والأحدية التى هى

---

(١) اطلب القصيدة الثامنة من القسم الأول .

(٢) توجد نسخة هذا الكتاب فى المكتبة المحمدية الهمدانية ، بسورت الهند . وكذلك فى خزانة والدى المرحوم قربان حسين ابن فدا حسين بجودهرا الهند .

(٣) منيرة البصائر ص ٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٣ ، ٩٢ — ٩٣ .

رتبة أول موجد فى عالم الإبداع التى تماثل رتبة الإمام فى عالم الدين .

الباب الثانى : فى الإمامة ومن المشار إليه من أهل الرتبة .

يتجه الخطاب فى هذا الباب إلى القول إن رتبة المأذون المحدود الذى حدّه المكاسرة وأخذ العهد والإرشاد إلى عالم النجاة ، هو الإمام بالحقيقة لمن خلص من عالم الهيولى ؛ لأنه هو الهادى للمستجيب له . فالمختص برتبة الواحدية والأحدية المتوجه إليه التوحيد هو من أول الرتب التدينية إلى آخرها .

الباب الثالث : فى القول على النطق والناطق والكلام على ناطق الدور .

الباب الرابع : فى الأساسية والوصاية والمستحق لذلك .

الباب الخامس : فى النقلة والمعاد ومن يطلق عليه ذلك .

الباب السادس : فى الاستحالة وعلى من يطلق القول .

الباب السابع : فى القول على الثواب والعقاب وكيفيتهما ومستحقهما .

الباب الثامن : فى قضية العدل والعادل .

الباب التاسع : فى أصل الخطيئة وكيف كان الهبوط إلى دار العمل .

الباب العاشر : فى كيفية الصعود والارتقاء .

تأثر السلطان الخطاب فى الأبواب الخمسة الأخيرة بكتاب « الابتداء والانتهاء » للمؤيد الشيرازى ورسائل « إخوان الصفاء » خاصّة . ونجد الخطاب يدخل فى الفلسفة التصوّرية فى هذه الأبواب كلها .

رسالة النفس[1]

ألفت هذه الرسالة بعد « منيرة البصائر » وقد أشار إليها الخطاب فى كتابه السابق ذكره « منيرة البصائر »[2] . كذلك أشار فى هذه الرسالة إلى « منيرة البصائر »

(١) توجد النسخة الخطية منها فى المكتبة المحمدية الهمدانية ، بسورت .

(٢) منيرة البصائر ص ٣٣ ، ٩٢ ، ٩٣ .

وطلب من القارئ أن يرجع إليه للشرح المزيد[١] .

قدمنا التلخيص لهذه الرسالة فى ملحق رقم ٢ .

توجد فى تراث الأدب الفاطمى رسالتان فى موضوع النفس ، الأولى للسلطان الخطاب والثانية لأستاذ الخطاب الداعى الذؤيب[٢] . وبعد تصفح كلتا الرسالتين لم نجد أية إشارة تشير إلى أن أيًّا منهما قرأ للآخر. وعدم هذه الإشارة فى إحداهما إلى الأخرى ، لا يعنى عدم الاطلاع من أحدهما على رسالة الآخر بعد أن عرفنا الصلات والروابط بين الأستاذ وتلميذه . نلاحظ فى الرسالتين أنهما تستهلان بإيراد الحديث النبوى القائل « أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه » ، وبعد هذا الحديث المشترك بينهما يقول الداعى الذؤيب إنه لا يوصل إلى معرفة النفس إلا بعد معرفة الجسم . فيستهل الرسالة بالكلام عن تركيب الجسم . وها هى الفصول الأربعة التى تنقسم إليها رسالة الداعى الذؤيب .

الفصل الأول :

مم تركب الجسم . يصف فيه تركيب الجسم الإنسانى من الطبائع الأربع ثم الأعضاء والأركان والحواس المختلفة وصفاً مفصّلا . ثم يتحدّث عن النفس النامية والنفس الحسّيّة .

الفصل الثانى :

النفس الناطقة — يتحدث فيه عن درجها ورتبها المتعددة ثم صعودها وهبوطها وثوابها وعقابها .

الفصل الثالث :

أنفس العالم والمتعلم شىء واحد وجوهر واحد .

الفصل الرابع :

نفوس الأنبياء والأئمة وتابعيهم لا يجب أن يقال عليها نفس بل يقال روح وعقل .

---

(١) رسالة النفس ص ١٤ ، ١٨ ، ٤٥ .

(٢) توجد هذه الرسالة فى المكتبة المحمدية الهمدانية ، بسورت .

فنلاحظ أن كلاً منهما يختلف اختلافاً جوهرياً فى معالجة الموضوع ، وقد بينا فى الهوامش التى كتبناها لتلخيص رسالة النفس أن السلطان الخطاب تأثر فيها برسائل إخوان الصفاء تأثراً جلياً .

غاية الأجسام

صنّف السلطان الخطاب هذا الكتاب قبل تصنيفه « غاية المواليد » وأشار إلى هذا الكتاب فى « غاية المواليد » قائلا : « كان سبق فى الرسالة الموسومة بغاية الأجسام من الكلام على المواليد الثلاثة التى هى المعدن والنبات والحيوان ومن إقامة الدليل على وجود غاية لكل جنس منها بالإلزام الضرورى»[١] . . . ويبدو لنا أنه ضاع ولم يصل إلينا . كذلك لم يذكره صاحب الفهرست والأستاذ إيفانوف فى الدليل .

غاية المواليد[٢]

ألّف السلطان الخطاب هذا الكتاب بعد تصنيفه «غاية الأجسام» وأشار فى هذا الكتاب إليه . وقد ألف هذا الكتاب فى أيام الإمام أبى القاسم الطيب بن الإمام الآمر[٣]. يشتمل هذا الكتاب على خمسة أبواب وهى :

الباب الأول : فى إثبات الحجج فى الجزائر الاثنى عشرة .

بعد إثبات الوجوب للحجج فى كلّ جزيرة من جزائر الأرض الاثنى عشرة ، يتجه إلى البحث عمن يكون صاحب رتبة الحجية بالجزيرة اليمنية ، ويقدّم الخطاب ثلاثة وجوه لمعرفة صاحب الرتبة ، أولا : النصّ عليه من ولى الله (أى الإمام) ، ثانياً : البحث عن قيام أهل الجزيرة بطاعته . وثالثاً : البحث عمن يتشبه أكثر

---

(١) غاية المواليد ص ٢٦ ، كذلك أشار إليه مرة أخرى فى صفحة ٥٢ .

(٢) توجد نسخة هذا الكتاب فى المكتبة المحمدية الهمدانية ، بسورت .

(٣) غاية المواليد ص ١ .

بخصال المؤمنين الصالحين فى صحبة الخير لهم ودفع الضرر عنهم . ثم يثبت عن طريق هذه الوجوه الثلاثة أن الأحقّ بهذه الرتبة هى السيدة الملكة الحرّة أروى بنت أحمد الصليحية .

وبعد هذا يردّ على اعتراض المعترضين ضدّ السيدة الملكة الحرّة أن الإناث لا يستحققن الرتبة الحجية ، التى هى أعلى المراتب فى الدعوة . ويلخص هذا الفصل الطريف قائلا ، إن الذكر والأنثى من القمص البشرية لا يعرب عن حقيقته ، بل المعرب والهادى هو الظاهر بها من أفعال الخير فى الطاعة والقبول . فالذكر أكمل من الأنثى فى التأويل من قبل الصورة والإفادة والاستفادة . فإذا كان الظاهر بقمص الإناث قد أحرز جميع الخلال المحمودة فقد خرج من دائرة الاستفادة ولم يبق مستفيداً لشىء ، وصار بمنزلة الذكور . وإذا كان الظاهر بقمص الذكور غير محرز لجميعها فهو مستفيد بمنزلة الإناث . والإناث والذكور لا يكون من قبل الأجسام التى هى القمص عندهم ، بل من قبل الإفادة والاستفادة .

الباب الثانى : فى القول على الناسوت المتحد به اللاهوت.

الباب الثالث : فى القول على هذه الحادثة .

الباب الرابع : فى إثبات الإمامة للإمام الطيب .

أثناء كلامه فى تسلسل الإمامة بالنص عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى الإمام أبى القاسم الطيب بن الإمام الآمر ، يبين الخطاب حقيقة الخليفة المهدى مؤسس الدولة الفاطمية فى المغرب ، ويقول إنه كان حجة الإمام على بن الحسين واسمه سعيد الخير . ولما توفّى الإمام على بن الحسين وهو فى طريقه إلى المغرب خلف ابنه صغيراً فتسلم حجة الإمام سعيد الخير الملقب بالمهدى زمام الأمور .

وقبل أن يتوفى المهدى سلم الوديعة إلى مستقرها محمد بن على بن الحسين الملقب بالقائم بأمر الله . ثم جرت الإمامة فى عقبه . ونلاحظ هنا أنه يردّ على من يشكّ فى نسب المهدى ، بنظرية الإمام المستقرّ والإمام المستودع ، أى أن المهدى لم

---

(١) اقتطفنا بعض الفقرات من هذا الفصل فى ملحق رقم : ١ .

يكن إماماً مستقراً بل كان مستودعاً وحجة للإمام المستقر[١] .

الباب الخامس : فى القول على اللطائف وغاياتها والحجب الخمسة .

يقارن الخطاب فى هذا الباب بين الرتب الخمسة فى عالم الدين ، وهى الحجة والباب ، داعى البلاغ » ، المأذون المطلق ، » والمأذون المحدود ، وبين تلك فى عالم اللطافة المذكورة بلسان الدعوة بالعقل والنفس والجدّ والفتح والخيال ، وبلسان الشريعة بالقلم واللوح وإسرافيل وميكائيل وجبرائيل . ويدخل فى التلاعب مع الأعداد والحروف ، والتأويلات الغريبة . ويقتطف كثيراً من « المجالس المؤيدية » و « أسرار النطقاء » و « سرائر النطقاء » وكتاب « الكشف » .

رسالة فى بيان إعجاز القرآن[٢]

اسمها الكامل كما ذكرها صاحب « الفهرست »[٣] هو «رسالة فى بيان إعجاز القرآن وأن الأعمال الشرعية نعمة بالحقيقة لا تكاليف مستثقلة ومشاق مستحملة » ، وقد أورد الشيخ محمد بن طاهر الحارثى المتوفى سنة أربع وثمانين وخمسمائة هذه الرسالة الكاملة فى كتابه « مجموع التربية » النصف الثانى .

ألف السلطان الخطاب هذه الرسالة فى الردّ على « رسالة البرهان الأنور فى إعجاز سورة الكوثر» التى هى بالتالى فى الردّ على من يعارض إعجاز القرآن . يقول الخطاب إن صاحب الرسالة المذكورة أصاب غرضه ، ولكن هناك نكتة يريد التنبيه عليها . وهى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن مماثلته ولا مشاكلته

---

(١) قد نشر الأستاذ إيفانوف والأستاذ لويس بعض الفقرات مع الترجمة من هذا الباب الرابع فى مسألة المهدى وأصله Rise of the Fatimids pp. 20-23. The origins of Ismailism, pp. 51-52.

(٢) وردت هذه الرسالة فى كتاب مجموع التربية ، النصف الثانى من ص ٩٨ إلى ١٣١ ، نسخة المكتبة الحمدية الهمدانية بسورت .

(٣) الفهرست ص ١٨٥ ، ولم يرد هذا العنوان فى مجموع التربية بل ورد فى بداية الرسالة هكذا : نخبة رسالة عنى بها السلطان الأجل سيدنا الخطاب بن الحسن .

بالبشر . وإن كان بالصورة الآدمية ماثلا ، وبسمات البشر مماثلا لأنه شرف على البشر من حيث نفسه الجوهرية ، لا من حيث صورة شخصه البشرية . فلذلك قول القائل إنه يبطل إذا عورض بمثله محال بالنسبة للقرآن الكريم .

ثم يقول الخطاب إن إعجاز القرآن ليس من حيث بلاغة الأسلوب وجزالة الألفاظ ووجازة الكلام فقط ، كما ادّعى صاحب الرسالة المذكورة ، بل إعجازه من حيث المعنى أيضاً . وإذا كان الإعجاز من ناحية الأسلوب والكلمات لم يقم حجة على العجم لأنه أنزل باللسان العربى ، وإنما بعث الرسول لكافة الناس وليس للعرب فقط . لذلك لا يخلو القرآن الذى هو معجزة الرسول القاهرة وآياته الباهرة أن يكون فيه ما يقوم فى بهر العجم مقام جزالته وبلاغته وإيجازه فى بهر العرب ، لتكون معجزاته جامعة للفريقين . وبعد هذا أورد الخطاب البيتين اللذين قالهما صاحب الرسالة المذكورة فى الردّ على معارضى إعجاز القرآن وهما :

سقيا لهذا إن أتى بمثـــالها وأراحنا من شقّة التكليفِ
وأزال عنّا ما نقاسى دهرنا من جوع صوم أو فراق أليفِ

يقول الخطاب إن صاحب الرسالة سلك فيهما طريق الدعابة والهزل لأنه أوهم أن أركان الشريعة المبنية على الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد تكاليف مستثقلة ومشاق متحملة . واستطرد الخطاب فى النصف الأخير من رسالته فى الرد عليه واحداً واحداً من أركان الشريعة قائلا إنها ليست تكاليف مستثقلة بل هى نعمة فى الحقيقة .

رسالة للنعيم

لم نستطع الحصول على هذه الرسالة . وهى كما يقول صاحب « الفهرست» [١] فى ذكر المادّة والتأييد وكيفية سريانه إلى النفس فى حال تعلقها بالرتب التى هى المعدن والنبات والحيوان ، وفى حال ظهورها بالقامة الألفية ودخولها فى حرم الله الأمين .

---

(١) الفهرست ص ٢٨١.

الفصل الثانى

كلمة فى شعره

كان السلطان الخطاب شاعراً مطبوعاً ، وشاركه أخوه الأكبر سليمان فى هذه الموهبة الفنية وكان الأخوان من الشعراء المعروفين المجيدين فى اليمن . يقول صاحب « عيون الأخبار » نقلا عن جامع ديوانيهما : « كانت لهما أعنى الخطاب وسليمان معرفة قوية حتى عرفا بمقولى قحطان »[١] ويقول صاحب « عيون الأخبار »[٢] فى موضع آخر وكذلك أبو مخرمة[٣] ، يقولان نقلا عن صاحب « المفيد »[٤] : « ومن شعراء اليمن المجيدين الخطاب بن الحسن بن أبى الخفاظ » . وقد أورد العماد الأصبهانى صاحب « خريدة القصر وجريدة العصر »[٥] بعض الأبيات للسلطان الخطاب نقلا عن عمارة اليمنى من تصنيفه عن « مجموع الشعراء[٦] اليمنيين »[٧] يقول فيه : « ومن شعراء اليمن ، سليمان بن الحسن بن أبى الخفاظ صاحب مدينة الجُرَيب وأخوه الخطاب بن الحسن بن أبى الخفاظ من الشعراء المجيدين » . وبعد سرد أقوال الآخرين يبدى مؤرخ الدعوة رأيه ويقول : « له (أى الخطاب) ولأخيه سليمان أشعار حسنة فى ديوان معروف مشهور موجود[٨] ».

والآن نلقى نظرة على خصائص شعر السلطان الخطاب .

---

(١) انظر عيون الأخبار ج ٧ ص ٢٢٣ . .

(٢) المرجع السابق ج ٧ ص ٢٢٣ .

(٣) قلادة النحر ٣/٢ ورقة ٦٣٥ – ٦٣٦ .

(٤) يسمى تأريخ اليمن لعمارة اليمنى بالمفيد، وليس هو المفيد فى أخبار زبيد كما ذكر الأستاذ بروكلمان (G.A.L. suppl. vol. I, p. 570) . بل المفيد فى أخبار زبيد هو مؤلف لجياش بن نجاح ، كما ذكر لنا عمارة اليمنى فى مقدمة تاريخه .

(٥) خريدة القصر ، المجلد الثانى من القسم الثالث ورقة ٢٧٦ .

(٦) فى نسخة خريدة القصر : الشعر .

(٧) لم يشر الأستاذ بروكلمان إلى هذا الكتاب (G.A.L. suppl. vol. I, p. 570)

(٨) عيون الأخبار ج ٧ ص ٢٢٣ .

خصائص شعره

هذه هى الخصائص العامة لشعر السلطان الخطاب :

أولا : شعره سهل ومطبوع وبرىء من التعقيدات اللفظية والمعنوية ، وألفاظه مألوفة إلا أنه يستعمل أحياناً الكلمات الغريبة والنادرة ، مثل خُلْصان، نِيار، حاجية سُوح ، وغيرها .

ثانياً : لا يلتزم الخطاب المقدمات الغزلية المعروفة عند أكثر الشعراء فى شعره إطلاقاً . وليست فى ديوانه سوى قصيدتين تستهلان بالنسيب ، الأولى فى التغزل والافتخار[١] والثانية فى تأنيب الأفلحيين[٢].

ثالثاً : يمتاز شعره بالعفّة . لم يصف السلطان الخمر والنساء والغلمان ، ومجالس الطرب والشرب ، لأن حياته لم تكن حياة لهو ولعب فينصرف إلى هذه الأشياء ويستمتع بهذه الملذات ويصفها فى الشعر . بل كانت حياته حياة كفاح مرير من أجل عقيدته ولإعلاء كلمة الدعوة الفاطمية .

رابعاً : لعل أظهر ما يمتاز به شعر الخطاب من الناحية الفنية هو استعمال الجناس من المحسنات اللفظية ولا سيما جناس الاشتقاق . ولا تكاد تخلو أية قصيدة من الجناس — والقصيدتان الخامسة والسادسة من القسم الأول أروع مثال لذلك . وإليك بعض الأمثلة :

لم يسبحوا فى بحر لَهْوٍ به ... قد سبح الناسُ مع السابحِ[٣]

صافحتُهم بالعهد فى حين أنْ ... صفحت عنهم أخدعَ الصافحِ[٤]

---

(١) وهى القصيدة الرابعة عشرة من القسم الثانى .

(٢) القصيدة العشرون من القسم الثانى .

(٣) ٢٥/٥ القسم الأول .

(٤) ٤٨/٥ من القسم الأول .

ثم قال :

وقد كان رأيي أن أكون وراءه ... فعُدْتُ ورأيي أن يكون ورائى[١]
وعَدَّهما ذو الجهل بالأمر لذَّةً ... متى التذَّ ذو داءٍ بأَخْذ دواءِ[٢]

ثم قال :

عَمَتْ بصائرُ قومٍ أبصروك بما ... حقيقة الحقّ عن مبصوره زورُ[٣]
بل ينظر المرء منهم فى مراءته ... تشكيله ، لا سواه منه منظــورُ[٤]

خامساً : لم يمدح السلطان الخطاب أحداً ولم يتكسب بالشعر ، ومدائحه فى الأئمة والداعى الذؤيب والملكة الحرّة تصدر من صميم قلبه بلون العقيدة فى المذهب الفاطمى الذى اعتنقه . ولم تكن قصائد المدح الأربع فى الملكة الحرّة من القسم الثانى إلا اعترافاً بالمعروف والجميل . وهنا أيضاً لا نجد المبالغة فى المدح بل يخاطبها « بابنة أحمد » .

سادساً : يتميز شعره بالموسيقى التى تنبع من تكرار الحرف أو الحرفين فى البيت . نقدّم على سبيل المثال الأبيات التالية التى تتكرّر فيها الحروف التاء والميم والعين يقول :

إنَّ النفوس إذا صفتْ وتهذَّبتْ ... وتجوهرتْ تعلو إلى جنّاتهــا
وذكرتَ ما سكنتْ وممّ تركّبتْ ... أجزاءُ بِنْيَتِها على هيئاتها[٥]

---

(١) ٤٤/٦ القسم الأول .
(٢) ١٠/٦ القسم الأول .
(٣) ١١/١ القسم الأول .
(٤) ١٤/١ من القسم الأول .
(٥) القسم الأول ١٠/١٠ – ١١ .

يقول :

أَقْرِ السلامَ مُكرَّرًا ومُضـــاعَفًا كالمسك فَضُّ خِتامه المختومِ
وأبِثَّهم شوقى لِفَقْدِ لقائهم وَتَملْمُلى كتململ المحمومِ[1]

يقول :

وقولُك مسموعٌ وعِزُّك أقعسُ ورأيُك متبوعٌ وريحُكَ زَعْزَعُ[2]

سابعاً : يمتازشعره بما فيه من الحكمة البالغة والأمثال السائرة . وتوجد فى القسم الأول من ديوانه بضع قصائد فى الحكم والمفاخرة وإليك بعض الأمثلة منها :

مرامُ العُلى بالمشرفيِّ وبالبَتْرِ ونيلُ العُلى بالصبر والنصر فى الصبرِ[3]
الدهرُ يتبع ما يجرى به القلمُ والمرء يلحقه النعماءُ والأَلمُ[4]
وهكذا الناسُ دنياهم تُبَدِّدُهم وهكذا قد مضى من قبلنا أُمَمُ[5]
هِمَمُ الفتى مالم تكن بعزائمٍ كُرَبٌ قُرِنَّ له بهَمٍّ دائم
فإذا هممتَ بهمّةٍ فَاقْرِنْ بها عزمات ماض فى المُلِمِّ الناجم
ودَعِ التفكّرَ فى العواقب إنه ما جاء صاحبه برأيٍ حازمِ[6]

ثامناً : إنه يستعمل الآيات القرآنية وتعبيراتها الرائقة بما يكسب الشعر الروعة والجمال ويزيده رشاقة ورصانة .

---

(١) ١٢/١ ، ١٤ من القسم الثانى .
(٢) القسم الثانى ٣١/٥ .
(٣) ١/١٩ من القسم الثانى .
(٤) ١/٢٠ القسم الأول .
(٥) ٢٩/٢٠ القسم الأول .
(٦) ١/١١ – ٣ من القسم الأول .

موضوعات الشعر عنده

بعد أن رأينا أهمّ مميزات شعر الخطاب نقف الآن عند كلا القسمين منفرداً ونبين بالمقارنة والمقابلة بين كلا القسمين موضوعات الشعر عند الشاعر وأغراضه .

الأول : يمتاز القسم الأول بالنزعة الفلسفية وبصبغة العقائد الفاطمية . فكل القصائد فى هذا القسم بل لا نبالغ إذ نقول كل بيت فيها مصبوغ بالصبغة الفلسفية والعقائدية . وأكثر قصائده فى مدح الأئمة والحدود العالية ، وفى علم الحقائق ، والتوحيد ، والنفس ومناجاة الله ، وفى الحكم . وينعكس طابع العقائد الفاطمية فى كل هذه الموضوعات .

أما القسم الثانى فتشتمل قصائده على موضوعات عامة مثل المدح والهجاء والعتاب والتأنيب والتغزّل والافتخار والحماسة .

الثانى : لا يلقى القسم الأول ، بطبيعة الموضوعات التى يتناولها ، أى ضوء على حياته . أما القسم الثانى فهو سجل حافل بحوادث أيّامه . يصوّر لنا هذا القسم كيف اختلف الشاعر مع أخيه الأكبر وكيف طرده من البلاد ، ثم يصوّر لنا كيف خاض الحروب المتوالية مع القبائل والأمراء والملوك الذين ساندوا أخاه سليمان ضدّه . وهذه الحروب تعكس الأوضاع السياسية القائمة فى اليمن حينذاك . فلذلك نجد أن هذا القسم الثانى سجل تاريخى لتلك الحقبة من الزمن .

الثالث : كلا القسمين يلقى ضوءاً على النواحى المختلفة من شخصيته . فالقسم الأول يمثل لنا ذاتيته فى الشعر . وذلك بتكراره كثيراً لملله من هذه الدار التى لاقى فيها شتى أنواع المتاعب والمصائب واشتياقه إلى الموت لكى يخلص نفسه من سجن الهيولى هذا ويعود إلى موطنه الأصلى وهو عالم الإبداع . وهذا اللحن الحزين الرقيق الذى يتدفق كثيراً من شعره يؤثر فى النفوس تأثيراً بالغاً . فما هو المصدر الذى ينبع منه هذا اللحن الحزين ؟ المصدر الأول هو إيمانه الراسخ بعقيدته فى المذهب الفاطمى الذى يعتمد على الفلسفة الأفلاطونية الجديدة عن النفس الكلية والعقل

الفعّال ، وعودة النفوس الجزئية المنبثقة من النفس الكلية إلى عالم العقول مرّة أخرى . والمصدر الثانى هو حياته الواقعية بما لاقى فيها من المحن والبلايا المتعدّدة . وقصيدته الهمزية المطولة التى تستهل بهذا اللحن ويمتدّ إلى ثلث القصيدة أروع مثال على هذا . أما القسم الثانى فتظهر فيه شخصيته الطموحة إلى المجد والعلى بصورة جليّة وهمته العالية وعزمه الصارم وروح الفروسية وحبّ المغامرات فى سبيل تحقيقه الهدف المرموق . وإليك بعض الأمثلة التى تمثل هذه الشخصية :

أَمثلَ يُلهيه فيُلهَى بطيبه ... ترنُّم أوتارٍ وشرب عقارِ
ويرضى بما يرضى به من معيشةٍ ... من الناس فى دنياه كل حمارِ
سأَركبها سيساءَ عاصيةَ القَرَى ... وأَكشف داجى ليلها بنهارِ
وأضربها من عزمتى بصوارمٍ ... وأضرمها من همّتى بنيارِ[1]

ثم يقول فى قصيدة أخرى :

قلبٌ عن اللهو واللذات وَسْنانُ ... وفى طِلاب العُلى والمجد يقظانُ
وناظرٌ سلبتْه النومَ همّتُه ... فما تَلاقَى لنومٍ فيه أَجفانُ[2]

ويقول فى قصيدته النونية :

أَأَرضى بما يرضى الدنىءُ وهمّتى ... قد انتقلتْ بالنَّطْح والدَّبَران
وأُغضى جفونى للعُداة على القَذَى ... حِذارَ الرَّدَى إنى لغيرُ يَمانِ[3]

الرابع : يمثّل القسم الأول المراحل الأخيرة من حياته . وأما القسم الثانى فيمثّل المراحل الأولى .

الخامس : أما شعره فى القسم الأول فيختص بشىء من التكلف والتصنع فى

---

(١) ٦/٧ – ١٠ من القسم الثانى .
(٢) ١/١٠ – ٢ القسم الثانى .
(٣) ١٥/٤ – ٥ القسم الثانى .

نظم الآراء الفلسفية والعقائد الفاطمية . فالمصطلحات الفاطمية منبثة فى هذا القسم . أما شعره فى القسم الثانى فطبوع حيث ترك زمام نفسه على سجيّتها .

الترتيب الزمنى لقصائده

بعد أن درسنا حياة السلطان الخطاب فى أطوارها المختلفة نستطيع أن نقسم شعره فى هذه الأطوار لكى نعرف من خلال هذا التقسيم الزمنى تأثر شعره بما اختلف عليه من فترات الحياة المختلفة . وقد قسمنا شعره فى المراحل الثلاث حسب أطوار حياته . فالمرحلة الأولى تبتدئ بالطور الثانى من حياته ؛ لأنه لم يصل إلينا شعره من الطور الأول طور الطفولة والصبا . والمرحلة الثانية تبتدئ بالطور الثالث من حياته ، والمرحلة الثالثة والأخيرة لهذا التقسيم الزمنى لشعره تمثل الطور الرابع والأخير من حياته .

أما تحديد تواريخ القصائد كلها وتسلسلها تسلسلا زمنيًّا فهو أمر فى غاية الصعوبة لأنه ليس لدينا تاريخ حياة الشاعر مرتباً ترتيباً زمنيًّا بحيث يمكن أن يساعدنا فى هذا الشأن مساعدة كبيرة . ولذلك قسمنا القصائد إلى تلك المراحل الثلاث مستعينين فيه أولا بالأحداث التاريخية التى دوّنها فيها . ولكن هذا المقياس التاريخى وحده لا يساعدنا فى القسم الأول حيث لا توجد أية إشارة تاريخية فى معظم القصائد . فالقصائد الثلاث التى ذكر فيها اسم الإمام الآمر بأحكام الله لا تتعدى إلى المرحلة الثالثة . ولكن من المحتمل أن تكون إما من المرحلة الأولى وإما من المرحلة الثانية . وإنما حدّدنا تاريخ هذه القصائد الثلاث والقصائد الأخرى التى يمدح بها الإمام الآمر رمزيًّا فى المرحلة الثانية لأنه يظهر منها نضجه العقلى بفهم أسرار الدعوة ثم حذقه بنظم هذه العقائد والآراء فى القريض . وأما قصائد الحكم ومناجاة الله والقصائد التى يتكرر فيها اللحن الحزين بملله من هذه الدار واشتياقه إلى الدار الآخرة فقد حدّدنا تاريخها فى المرحلة الأخيرة .

يتكون شعره فى المرحلة الأولى من قصيدتين فى مدح أخيه الأكبر السلطان

سليمان[١] وقصيدتين فى التغزل والافتخار[٢] ، ثم قصيدتين أخريين قالهما مخاطباً أخاه الأكبر ، الأولى حول مقتل أحمد[٣] ، والثانية عندما تغلب على الأمر وأخرجه من الجُرَيْب[٤] . ثم القصيدة الخامسة من القسم الأول التى يصف فيها الجماعتين الضالة والصالحة ويشير فى نهاية القصيدة إلى مقتل أخيه أحمد بيده . من هذه القصائد السبع تقع قصيدتان فى قافية الحاء وهى قافية صعبة وكذلك يبلغ طول إحداهما أكثر من أربعين بيتاً. ثم نظم الخطاب الردّ على قصيدة سليمان التى ذكر فيها قتل الخطاب لأخيه أحمد فى نفس القافية والبحر حيث التزم فى قافيتها حرفين . ونلاحظ من كل هذه القصائد استعمال الجناس من المحسنات اللفظية . فعنايته فى هذه المرحلة متجهة نحو صنعة الشعر . فكأنه يريد أن يثبت فنه ومقدرته الشعرية . وفى قصيدة الغزل يقلّد ابن هانئ والأمير تميماً . فقارن الأبيات الأولى من قصيدته فى الغزل بهذه الأبيات لابن هانئ والأمير تميم :

يقول ابن هانئ :

أَرَيَّاك أَم رَدْعٌ من المِسْك صائِكُ ... ولَحْظُك أَم حَدٌّ من السيف باتِكُ[٥]

فَتَكاتُ طَرْفك أَم سيوفُ أَبيك ... وكؤوسُ خَمْرٍ أَم مراشفُ فيك[٦]

يقول الأمير تميم :

أَسَهْمٌ أَصاب القَلْبَ أَم لَحْظُك الشزرُ ... وسقمٌ بدا ما بين جَفْنَيْك أَم سحرُ

سفرت فحوّلت الدجى قبل فجره ... أَشمسٌ أَضاءت من نقابك أَم بدرُ[٧]

---

(١) وهما القصيدة الثانية عشرة والقصيدة الثالثة عشرة من القسم الثانى .

(٢) القصيدة الرابعة عشرة والقصيدة الخامسة عشرة من القسم الثانى .

(٣) القصيدة الثامنة والعشرون من القسم الثانى .

(٤) هى القصيدة التى أوردها الأصبهانى والداعى إدريس ولا توجد فى نسخ الديوان .

(٥) ديوانه ص ٥٠٣ .

(٦) ديوانه ص ٥٣١ .

(٧) ديوان الأمير تميم ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

فكأنَّها قمرٌ على غصنٍ قد لاح فى ليلٍ من الشعرِ[١]

فى هذه المرحلة ينقص شعره أحياناً رصانة الأسلوب وإتقان المعنى ، مثلا يقول فى مدح أخيه الأكبر السلطان سليمان :

أأخشى زمانى ما حييتُ وأجتبى رضاك وفى ميمون وجهك مُسْفِرُ ؟

وكانت المرحلة الثانية أكثر خصوبة بالنسبة لإنتاجها الشعرى . وقد نظم فى هذه الفترة ثمانى وعشرين قصيدة تقع منها إحدى وعشرون فى القسم الثانى[٢] ، وسبع فى القسم الأول وهى مدائح للإمام الآمر بأحكام الله[٣] . فقصائد هذه الفترة سجل حافل بحوادث حياته وبتاريخ اليمن لتلك الفترة من الزمن .

وينقسم شعره فى هذه الفترة إلى قسمين شعر دينى فى مدح الإمام الآمر بأحكام الله وشعر سياسى فى مدح القبائل والأسر الحاكمة وفى هجائها وفى تحريض البعض على الآخرين . ثم يظهر من هذه القصائد أن حظه قد زاد من متانة اللفظ ورصانة الأسلوب وإتقان المعنى .

تقع معظم القصائد من القسم الأول فى المرحلة الثالثة والأخيرة من حياته . فهذه القصائد فى مدح الإمام[٤] والداعى الذؤيب[٥] وفى علم الحقائق[٦] وفى النفس[٧] وفى مناجاة الله[٨] وفى الحكم[٩] وفى رثاء السيدة الملكة الحرّة[١٠] .

---

(١) ديوانه ص ٢١٠ .

(٢) وهى ثلاث فى العكيين ، وثلاث فى الأمير غانم ، وأربع فى السيدة الملكة الحرة ، قصيدتان فى تحشيد العرب ، خمس فى الأفاطحيين ، وقصيدتان فى بنى هاشم ، وقصيدتان فى الشرفاء بنى سليمان .

(٣) وهى القصائد الأولى والثالثة والثالثة عشرة والرابعة عشرة والسابعة عشرة والتاسعة عشرة والرابعة والعشرون .

(٤) القصيدتان الثانية والرابعة .

(٥) الخامسة عشرة والسادسة عشرة .

(٦) القصيدة السادسة .

(٧) التاسعة والعاشرة .

(٨) وهى القصائد الحادية والعشرون ، والثانية والعشرون ، والثالثة والعشرون ، والسادسة والعشرون .

(٩) الحادية عشرة ، والثامنة عشرة ، والعشرون ، والخامسة والعشرون .

(١٠) القصيدة الثامنة .

ونلاحظ فى هذه القصائد[١] نضجه العقلى وعمقه الفكرى وعنايته فى تغليب المعنى على الأسلوب الشعرى . ويتميز شعره فى هذه المرحلة الأخيرة بالطابع الفلسفى والعقائدى .

الخطاب بين الشعراء الفاطميين

اخترنا ثلاثة شعراء مشهورين من بين الشعراء الفاطميين الذين سبقوا السلطان الخطاب ، وهم ابن هانئ والأمير تميم والمؤيد فى الدين الشيرازى[٢] للمقارنة بينهم وبين شاعرنا السلطان الخطاب لكى نعرف منزلة السلطان الخطاب بين هؤلاء الشعراء الفاطميين . ونقصر حديثنا على بعض النواحى الهامة التالية :

أولا — بناء القصيدة : تستهل القصيدة عامة عند ابن هانئ والأمير تميم بالنسيب . وهما أحياناً يطيلان فى هذه المقدمات الغزلية قبل أن ينتقلا فى شعرهما إلى المديح. ونجد هذه المقدمات عند المؤيد الشيرازى أيضاً فى أكثر قصائده . أما السلطان الخطاب فلا يلتزم هذه المقدمات الغزلية إطلاقاً ولا يوجد فى ديوانه سوى قصيدتين تستهلان بالنسيب[٣] .

ثم نجد هؤلاء الشعراء الثلاثة قد التزموا هذه المقدمات الغزلية فى قصائد مدح الأئمة أيضاً ، أما السلطان الخطاب فلم يلتزم إطلاقاً هذه المقدمات الغزلية فى قصائد مدح الأئمة والحدود العالية .

ثانياً — العقائد الفاطمية : نجد أن ابن هانئ نظم كثيراً من العقائد الفاطمية فى شعره ، ولكنها متفرقة هنا وهناك لأنه لم يبسطها ولم يطل فيها ، بل ذكرها فى بضعة أبيات من بعض القصائد ولم يذكرها فى البعض الآخر . ولم يذكر الأمير

---

(١) والقصيدتان السابعة والثانية عشرة تدخلان فى هذه المرحلة .

(٢) اطلب المقارنة التى كتبها الدكتور محمد كامل حسين فى « ديوان المؤيد » ص ١٥٩ — ١٦٣ .

(٣) وهما الرابعة عشرة والعشرون من القسم الثانى .

تميم هذه العقائد الفاطمية إلا فى بيتين أو ثلاثة من بعض القصائد المعدودة برغم أنه كان ابن الإمام . أما المؤيد الشيرازى والخطاب بصفتهما داعيين متضلعين فى المذهب الفاطمى فبسطا هذه العقائد فى شعرهما وأطالا فيها .

ويتميّز شعر المؤيد الشيرازي بذكر التأويل . تأويل الآيات القرآنية وقصص الأنبياء . ولم يذهب فى شعره إلى مدح الإمام بأسماء الله الحسنى كما فعل ابن هانئ والسلطان الخطاب . ويمتاز شعر الخطاب بما فيه من علم الحقائق أى نظام الكون الفكرى عند الدعوة الفاطمية الذى يعتبر من أسرار الدعوة . فلهذا السبب يعتبر ديوانه من كتب علم الحقائق مثل كتاب « راحة العقل » ، ولا يسمح بقراءته إلا فى المراحل الأخيرة . وقد امتاز شعر الخطاب على كلّ من سبقوه حيث يخاطب الإمام على قدم المساواة معه ويقول :

أنا أنتمُ ، أم أنتمُ أنا ، بيّنوا حقيقة ما أعنى ، فقد خفيتْ عنّى[1]

ويخاطب الإمام فى قصيدة أخرى هكذا :

يا من أناجيه فينطق قائلا بى لى وإنى للنطوق القائل[2]

فهذا يشير إلى جرأته فى القول .

ثالثاً — المدح : كان مدح الأئمة عند ابن هانئ والأمير تميم مثل غيرهما من الشعراء يدور حول وصفهما الإمام بالكرم والجود والشجاعة وغير ذلك من النعوت والصفات التى نجدها عند الشعراء المدّاحين المتكسبين . وكذلك نجد أن المؤيد قد أتى بهذه المعانى فى شعره ولو كان بقدر ضئيل جداً . ويستثنى من قولنا هذا أن المؤيد الشيرازى والسلطان الخطاب كانا يختلفان عن ابن هانئ والأمير تميم فى هذه الناحية ، لأنهما مدحا الأئمة فى ضوء النظرية المذهبية . أما السلطان الخطاب فلم يأت بها فى قصائده مطلقاً .

---

(١) ١/٢ من القسم الأول .

(٢) ١/٤ من القسم الأول .

ونختتم هذه المقارنة بالقول إن المؤيد والخطاب يتفوقان على ابن هانئ والأمير تميم فى ذكرهما وبسطهما للعقائد الفاطمية . ثم يمتاز أحدهما عن الآخر فى ناحية معينة من النواحى وهى ذكر التأويل وعلم الحقائق . أما من ناحية صنعة الشعر فيتفوق ابن هانئ والأمير تميم على المؤيد والخطاب . فاشتهر ابن هانئ بقوة البيان وجودة الكلام وبراعته فى وصف الأسطول والعسكر والخيل واستعماله للألفاظ الغريبة والرنانة . أما الأمير تميم فقد اشتهر فى ناحية فنية من الشعر وهى ناحية الولوع بالتشبيهات والاستعارات وغيرها من فنون البديع .

بعض الخصائص اللغوية والنحوية فى شعره

ورد فى شعر السلطان الخطاب بعض كلمات لهـا معان لم نجدها فى المعاجم التى تناولناها وهى كما تأتى :

١ ــ الحرسات : بمعنى الحرمات[١]

٢ ــ لزم : بمعنى أسر أو حبس[٢]

٣ ــ صيِّب : بمعنى الصواب[٣]

٤ ــ شرْب : نوع من الحرير[٤] . (ورد فى ملحق المعاجم للدوزى)

٥ ــ معْصاة الأمور : أى الأمور المستعصية[٥]

٦ ــ أبية : يستعملها مصدراً من أبى يأبى إباء[٦]

كذلك وردت فى شعره الكلمتان اللتان تستعملان فى اليمن حتى الآن ، وهما

---

(١) ١٠/٢ القسم الثانى .

(٢) القصيدة الثانية من القسم الثانى .

(٣) ٢١/٤ القسم الثانى .

(٤) ١٨/١٨ القسم الثانى .

(٥) ١٨/١٢ القسم الثانى .

(٦) ٩/٩ القسم الثانى .

« بدْوان »[١] بمعنى البدو ؛ و« سيد »[٢] مخفف من سيِّد . واستعمل الشاعر اللغة التى تلتزم فيها الألف للمثنى فى جميع الأحوال[٣]. وكذلك اللغة التى تقال بالواو بالهمزة مثل « أثقت »[٤] بمعنى « وثقت » . ولاحظنا فى شعره بعض الظواهر اللغوية ، وهى : يوجد[٥] بمعنى وجد ، والسافح[٦] بمعنى المفعول أى المسفوح ، وتَجلَّى[٧] بمعنى انجلى أى انكشف .

---

(١) ٤٨/٧ القسم الثانى .
(٢) ٣٢/١ القسم الثانى .
(٣) القصيدة الخامسة عشرة من القسم الثانى .
(٤) ٢٧/٢ ، ٤٣/٧ القسم الثانى .
(٥) ٥/٢ القسم الأول .
(٦) ١٠/٥ القسم الأول .
(٧) ٦/٨ القسم الأول .